منطق الاستدلال الحجاجي في الخطاب القرآني

أ.م.د حازم طارش حاتم
كليَّة الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإسلاميَّة الجامعة
col.edu.iq-hazem.tarash@alKadhum

الملخص:

تشِّـــكل المنظومة المعرفية للمدونة القرآنية محلَّ اهتمام وعناية من الدارسين والباحثـــين؛ لكون المدونة القرآنية مدونة هداية وإرشـــاد تهدي الإنســـان، وخطابها يستدعي الباحث فيها إلى انتهاج منهجٍ ينسجم علمياً مع خصائص الخطاب؛ لأن المحاكاة هي الكاشـــفة، وعلى هذا الأســـاس انتهج الباحث (المنطق الاســـتدلالي) القائم على أس (المقدمة الكبرى) التي لا خلاف فيها بين طرفي الخطاب، وصولاً إلى (المقدمة الصغرى) المســـتنتجة منها، التي لا خلاف فيها، وقوفاً على (النتيجة) التي محلَّ الخلاف، ولكن دفع هذا الخلاف بهذا (المنطق التراتبي) الذي يأـــخذ المخاطَـــب من (القبول) إلى (الخلاف) حتى يقبله.

ويستلزم هذا المنطق التراتبي الاستدلالي مجموعة من القواعد والحيثيات حتى لا تقع بالمغالطات، ولجوء المتكلم إلى بناء هذه المغالطات؛ لتوليد قناعات غير حقيقية، ولا تلامس الواقع؛ وهذا بخـــلاف ما تقوم به المدونة القرآنية في بناء

الاستدلالات ذات الأبعاد الإنسانية والأخلاقية التي تقتضي الحث على الهداية والإرشاد.

الكلمات المفتاحية: (الخطاب، الاستدلال، القرآن).

The logic of argumentative inference in the Qur'anic discourse

Asst. Prof. Dr. Hazem Tarish Hatem
College of Imam Kadhum for Islamic Sciences

summary:

The knowledge system of the Qur'anic corpus is of interest to scholars and researchers. Because the Qur'anic blog is a book of guidance and guidance that takes care of people, and its discourse calls the researcher in it to adopt a method that is scientifically consistent with the characteristics of the discourse; Because simulation is the revealing one, and on this basis, the researcher adopted (inferential logic) based on the exponent of (the major premise) in which there is no disagreement between the two sides of the discourse, up to the (small premise) deduced from it, which is not disputed, standing on the (conclusion) that is in question. Disagreement, but this disagreement is prompted by this (hierarchical logic), which takes the addressee from «acceptance» to «conflict» until he accepts it.

This deductive hierarchical logic requires a set of rules and rationales in order not to fall into fallacies, and the speaker resorts to constructing these fallacies; To generate convictions that are not true, and do not touch reality; This is in contrast to what the Qur'anic code does in building inferences with human and ethical dimensions that require urging guidance and direction.

Keywords: (discourse, Argumentation, the Qur'an).

المقدمــة:

الحَمْدُ لله الْمُنْعِمِ الْمُحْسِــنِ الْمُجْمِــلِ الْمُفْضِلِ ذِي الجَلالِ والإِكْــرامِ وَلِيّ كُلّ نِعْمَةٍ وَصاحِبِ كُلّ حَسَنَةٍ وَمُنْتَهَى كُلّ رَغْبَةٍ وَقاضِي كُلّ حاجَةٍ، اللهم صَلّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وارْزُقْنِي اليَقِينَ، وَحُسْنَ الظّنّ بِكَ.

أمّا بعدُ:

أضحت الدراسات القرآنية، ولاســيما اللغويةمنها ملمحًا تطويريًا في النتاجات المعرفية القرآنية؛ لأنها متعددة الاختصاصات في الكشف عن المقاصد والغايات عند نظّــار هذا العلم والمنحى المعرفي؛ لكونهم ينظــرون إلى الوظيفة اللغوية بأنها وظيفة إيضاحية تتشكل في أنساقها التركيبية الكاشفة عن مقاصدها الإلهية.

والســلوك اللغوي أصبح الأيقونة المثلى في محاكاة وكشــف جهود العلماء ذات الأبعــاد العامة التي تتعلق بعمــوم الجانب البنائي للنص القرآني كنظام وممارســة، فالنظام شكل(الكفاية اللغوية)، والأداء أضحى (الكفاءة التواصلية) للمشرّع التي تمظهرت عند أهل اللغة في تبيان ورفع الغموض، وإزالة اللبس في تحديد التشريعات

السماوية؛ لذا أصبح التوجه اللغوي وقيمه المعرفية محلَّ عناية عند الدارسين والباحثين والمهتمين بالشأن القرآني.

وهذه المرجعيات الفكرية كانت الأساس في انتخاب (المنطق الاستدلالي)، التي تحمل أساساً معرفياً ذات خلفيات ثقافية متنوعة تقع بين أُسها الثقافي الإسلامي والأعراف الاجتماعية، واستنطاق بنية هذه المدونة، ومحاكاتها استدلالياً في ضوء المناهج اللغوية تكشف لنا عن: (ديناميكية البناء) و(فعَّالية الخطاب) العاكسة لفلسفة الخطاب، وهنا تكمن أهمية البحث.

المطلب الأول

الخطاب الحجاجي في دائرة المفاهيم ونقابلات المصطلحات

تتغاير استراتجيات المتكلم في الخطاب لتغاير المتلقي، فضلاً عن ذلك سياق التلقي، وهذا التغاير محكوم بطبيعة الأهداف التي يتوخاها المخاطِب في الخطاب، واستراتيجية الحجاج واحدة من الاستراتيجيات الخطاب التي تسعى إلى تحقيق الوظيفة التأثيرية فضلاً عن الانجازية، وحتى يتسنى تحقيق هذه الوظائف يجب مراعاة الانسجام، فالمخاطِب يُقدم كلامه في ضوء ملابسات الخطاب وظروف إنتاجه، ومتى ما تخلفت هذه الاستراتيجية في التواصل تفشل الوظائف، والاستراتيجيةالحجاجية من أهم السبل الإقناعية في الخطاب القرآني، وقد تأتت هذه الأهمية من طريقتها الخاصة في قديم المعنى، وتأثيرها في المتلقي؛ لأنها تتجاوز الوظيفة الجمالية الإمتاعية إلى الوظيفة الإيحائية التأثيرية الانجازية التي تجسد الأفكار وتقرب الرؤى؛ ولكونها تجعل غير المدرك مدركاً، فالاستدلال الحجاجي في الخطاب القرآني مبني على وفق منهجية تقويمية ظاهرها الإيضاح والبيان وباطنها الإقناع والتأثير، وهو في ذلك يضمر مقاصد محورية تلزم المخاطَب بتغيير رأيه، أو تبني رأيًا، من دون أن تفرض عليه نوعاً من الإكراه.

فلا مناص من إرساء القواعد الإجرائية لمصطلح (الحجاج) بعد البحث عنه في الحاضنات المرجعية التي تأسس له، وما هذه الحاضنات المرجعية إلا مفاهيم تمثل الخزين الثقافي والمعرفي الذي يؤطر له؛ ولكي يحقق هذا المصطلح (الحجاج) الوظيفة الاستعمالية الإجرائية، يجب الوقوف عند الأسس المفاهيمية؛ ليتسنى تحديد مناطق الاشتغال من أجل تحديد الأبعاد الإجرائية التي تشغلها، والمسارات التي يجب اتخاذها في كل عملية حجاجية تتوخى الحوار وتديم التواصل، ولاسيما أنها تسعى إلى التأثير في المتلقي، فبناء الاستراتيجية الحجاجية تعتمد السياق؛ لأن السياق يعد مرتكزاً من مرتكزات تبني استراتجية من دون سواها، فللسياق الأثر الفعال في الإرسال والتلقي معاً.

وتكشف سياقات الاستعمال أن مفهوم الحجاج (Argumentation): ((جملة من الحجج التي يُؤتى بها للبرهان على رأي أو إبطاله، أو هو طريقة تقديم الحجج والاستفادة منها)) (صليبا، 1994: 1/ 446) التي تتمحور في معنيين: الأول: (مجموعة من الحجج)، والآخر (طريقة ترتيب الحجج)، والمدقق في المعجمات العربية يجد هذا المعنى قال: صاحب اللسان: ((حاججته، أُحاجُّه، حِجاجاً، ومُحاجَّةً حتى حَجَجْتُه، أي: غَلَبْتُه بالحُجَجِ التي أَدْلَيْتُ بها...، والحُجَّة البُرهان، وقيل: الحُجَّة ما دُوفِعَ به الخصم)) (ابن منظور: مادة (حجج): 4/ 38).

فالدلالة المركزية من ظاهر النص توجه المتكلم نحو المتلقي من أجل إحداث تغير في موقفه من القضية المطروحة، أما الدلالة الهامشية فأن المتلقي لا يتقاطع مع المتكلم، أو يختلف معه، وعلى هذا ((الحجاج ظاهرة ملازمة؛ لإنتاج الخطاب...، إذ ما من خطاب يخلو من الحجاج قلَّ ذلك الحجاج أو كَثُرَ؛ بيد أن الخطابات تتفاوت في الحجاجيّة)) (سلمان، 2010: 13)، فالكفاية التواصلية حاضرة في الخطاب الحجاجي ذي البعد التغيري، من دون الإكراه، والكفاءة الأدائية عند المتكلم تسعى إلى جعل

المتلقي يعتقد ما يعتقده المتكلم، فالمتكلم يرغب في اقتسام ما يعتقد به مع الآخرين (علوي، 2010، ينظر: 3/ 45)، وحتى يتحقق هذا الجانب الإجرائي يستند المتكلم في عمليته الحجاجيَّة إلى الوسائل اللغوية؛ لأن اللغة في بنيتها تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة إقناعية (العزاوي، 2006، ينظر: 14)، وكذلك الآليات شبه المنطقية وفعالية هذه الآليات أنها استدلالية خطابية، لها شكل منطقي ليس حتميًا، بل احتمالي (العمري، 1986، ينظر: 76 – 77)، فطبيعة هذا النشاط الإجرائي متغاير في صيغته اللغوية، غايته الأولى والأخيرة هي التأثير في المتلقي والدفع به إلى تبني موقف ما أو اقتناء منتج أو التخلي عن سلوك (بنكراد، 2009، ينظر: 187 – 188)، فالإجرائية في الخطاب الاستدلالي الحجاجي لا تكتسي صبغة الإكراه، ولا تَدرُج على منهج القمع، بل تتبع في تحصيل غرضها سبلاً استدلالية متنوعة تجر الآخرين جراً إلى الإقناع، وقد ترافق أساليب الإقناع أساليب الإمتاع، فتكون أمكن على التأثير في اعتقاد المتلقي، وتوجيه سلوكه، وذلك لما يهب الإمتاع من قوة في تجسيد الأشياء في ذهن المتلقي، كأنه يراها رأي العين (عبد الرحمن، 2007، ينظر: 38).

فالنهج المقنن الكلي للعملية الإحجاجية؛ لكونها انتقالاً، تنطلق من (مبدأ) هو إرادة المتكلم قيام المتلقي بفعل أو ترك، وتكون العملية ناجحة ومنتهية إذا تحققت هذا الإرادة بالفعل، فهناك(مبدأ) و(منتهى) للعملية الإقناعية (علوي، 2010، ينظر: 3/ 2).

في ضوء إجرائية الانتقال المبنية على وفق الاستدلال المنطقي بين طرفي الخطاب القائمة على أساس ترتيب الدعوى:

1 – يفترض المتكلم أن فعل المتلقي أو تركه متوقف على قبولها أو رفضها.

2 – الحجة يفترض المتكلم أن قبول المتلقي للدعوى متوقف على قبولها أو رفضها.

3 – وجه دلالة الحجة عـــلى الدعوى، إذ لا يكفي قبول المتلقي للحجة، بل يجب عليه أيضاً قبولها ورضاها، وليس الاكتفاء بصحة دلالة الحجة على الدعوى.

4 – صوغ الدعوى صوغاً يستحســـنه المتلقي ويستمتع به، وهذا يزيد من فرصة قبول الدعوى (علوي، 2010، ينظر: 3/ 3).

مما زاد مصطلح الخطاب تعقيدا تداخله مع سلســـلة من التقابلات التي أكســـته قيـــما دلالية أكثر دقة، فبعض الباحثين من يجعله معـــادلًا أو مكافئا لبعض المفاهيم، كـــالجملة، أو النص، أو الملفوظ...، أو غيرها، وقد حصر باتريك شـــارودو القيم الكلاسيكية التي يتداخل معها مفهوم الخطاب منها:

ـــــ **الخطاب والجملة**: يمثل الخطاب في ظل هذا التقابل وحدة لسانية مكونة من جمل متتالية، وهذا ما نجده عند هاريس، فالخطاب عنده أعم من الجملة (شـــارودر، منغنو، 2008: 180)، أما شـــارودو فيضع لنا حـــدا فارقًا بين المصطلحين يمكن عن طريقه التمييز بينهـــما في كونه ((يعد الخطاب كوحدة لغويـــة وهذه الأخيرة تتكون من تتابـــع الجمل)) (عزي، 2009: 42)، وعلى هذا الأســـاس لا يصح الترادف بين المصطلحين: (الخطاب والجمل).

– **الخطـــاب والملفوظ**: هذا التقابل يتمثل بالمقولة التـــي فحواها: ((إنَّ النظر في النـــص من حيث بنيته تجعل منه ملفوظا أما الدراســـة اللســـانية لظروف إنتاج هذا النـــص تجعل منه خطابا)) (عزي، 2009، 45)، وعليه يكون الملفوظ يســـاوي البناء اللغوي، أما الخطاب فيشكل وحدة تواصل مرتبطة بظروف إنتاج محددة (مانغينو، 2008: 39).

ـــــ **الخطاب واللغة**: عدَّ الباحثون الخطاب بديلًا للكلام في ثنائية دي سوســـير المعروفة(اللغة، الكلام)، فشارودو يضع اللغة كمقابل للخطاب؛ لأن اللغةنظام من

القيم المجردة تقابل الخطاب، والخطاب عنده ((هو استعمال اللغة في سياق خاص)) (مجموعة مؤلفين، 1998: 44)، فلما كانت اللغة نظام من القيم المقدرة الكامنة في أذهان الجماعة اللغوية، فهي تقابل الخطاب بوصفه استعمالا ينتقي هذه القيم إلى جانب حدوث قيمٍ جديدة (مانغينو، 2008: 127).

ـــــ الخطاب والنص: يعدُّ النص من أكثر المصطلحات تداخلا مع مصطلح الخطاب في الدراسات اللسانية، وأعقب هذا التداخل إلى تباين مواقف الباحثين إزاء رسم مفهوم محدد لكلا المصطلحين، فمنهم من يرادف بين المصطلحين، فـ رولان بارت لا يميز بينهما ويستعملهما للدلالة على شيء واحد، ويرى أنَّ النص جزء لا يتجزأ من الخطاب بقوله: ((فالنصُّ يظل في كل الأحوال متلاحقا مع الخطاب، وليس النصّ إلا خطابا، ولا يستطيع أن يوجد إلا عبر خطاب آخر)) (شارودر، منغنو، 2008: 553)، وإلى هذا التوجه يندفع بعض الباحثين والدارسين العرب أمثال محمد خطابي بقوله: ((كل ذلك من أجل البرهنة على أن النص/ الخطاب (المعطى اللغوي بصفة عامة))) (خطابي، 1991: 5)، فهو يجعل الخطاب والنص كالشيء الواحد، فأين ما ذكر النص ذكر الخطاب.

في حين يؤكد شارودو ضرورة التمييز بين المصطلحين؛ إذ يرى أن ((من المستحسن أن نميز بين النص والخطاب كوجهين متكاملين لموضوع مشترك، وهو الذي تأخذه اللسانيات النصية على عاتقها)) (عزي، 2009: 47)، ويضع دي بو جراند فاصلًا لمفهوم النص والخطاب من حيث إنَّ ((الصفة المميزة هو استعماله في التواصل، وإن الخطاب مجموعة من النصوص ذات العلاقة المشتركة، أي أنه تتابع مترابط من صور الاستعمال في النص يمكن الرجوع إليه في وقت لاحق)) (دي بوجراند، 1998: 6).

أمَّا بول ريكور فقد قيد الخطاب، بأنه لا يمكن أن يكون نصاً إلا إذا دون بالكتابة،

إذ يعرف النص على أنه ((كل خطاب مقيد)) (ريكور، 2004: 95)، نفهم من هذا أن الخطاب نوعان (شـــفاهي، ومكتوب)، وأن هي مرحلة لاحقة بالكلام، تسجل فيها كل الأحداث التي تظهر شـــفاهاً؛ لتبقى محفوظة بواسطة أشكال خطية، حيث يحدد جوليان براون وجورج يول النص بأنه: ((تســـجيل لغوي لفعل التبليغ)) (براون، 1994: 17).

وفي ظل هذا التداخل والتشـــابك بين الخطاب والنص يقدم ميشـــال آدم صياغة لعلها الأوضح لهذا التميز، فوضع المصطلحين في صورة معادلة رياضية، جعل فيها الخطاب مســـاويا للنص مع توفر شروط الإنتاج، أمـــا إذا خلا الخطاب من ظروف الإنتاج فهو نصٌّ، كما في المعادلة الآتية:

الخطاب= النص + ظروف الإنتاج

النص= الخطاب _ ظروف الإنتاج (فوكو: 22).

نفهم من ذلك أن الخطاب بمفهومه اللغوي واللساني أوسع وأشمل من النصّ، ويمكـــن أن نطلق على كل نص خطاباً، لكن ليـــس كل خطاب هو نصٌّ؛ فالنص لا يســـتطيع أن يكون إلا عبر الخطاب، ويرى بوجراند أنَّه لا يمكن الحكم على نص ما بأنَّه خطاب إلا إذا توفرتفيه ســـبعة معايير هي: (السبك، الالتحام، القصد، القبول، رعاية الموقف، التناص، الإعلامية) (دي بوجراند، 1998: 103 – 105)

فضلاً عن ذلك هذه التقابلات التي ذكرت هناك بعض المحللين يضعون الخطاب في تضاد مع الأيديولوجيـــا، فروجر فاولر يقول: ((الخطاب كلام أو كتابة يُنظر إليه من منظورالمعتقدات والقيم والمقولات التي يجسدها، فهذه المعتقدات، والقيم تمثل طريقة للنظر إلى الكون، تنظيم للتجربة أو عرضها الأيديولوجيا بالمعنى المحايد غير الازدرائي. وأنماط الخطاب تحيل مختلف صور عرض التجربة رموزا، ومصدر صور

العرض هذه هو السياق الصريح الذي يرد الخطاب ضمنه)) (فاولر، 1997: 17).

ويبدو أن للدكتور محمد محمد يونس وجهة نظر قد تكون قريبة للصواب، فهو يرى أنَّ الباحثين والمشتغلين اللسانيّين قد أسهبوا في تتبع إشكالية العلاقة بين الخطاب وغيره من المصطلحات؛ فكما يقال لا مشاحة في الاصطلاح، ما دامت هذه العلاقة أو التداخل لا يترتب عليه حكم يتغير فيه المعنى من مصطلح لآخر(يونس، 2016: 18).

المطلب الثاني

منطق الاستدلال في خطاب القرآن

لا يخلو خطاب من القصد، لا بل القصديَّة أصل كل خطاب، فالخطابات تنشأ على وفق مقاصد (عبد الرحمن، 1998: 103)، والمقاصد تعدُّ من أهم الركائز التي يسعى المخاطَب الوصول إليها بتلقيه الخطاب من منشئ النص، فلا وجود لأي تفاعل وتواصل من دون معرفة المقاصد (الشهري، 2004: 183)، وعلى هذا الأساس يتضح بناء النصوص، فضلاً عن تغاير النصوص لتغاير المقاصد القائم على سياق الحال الذي يستدعي بناء الخطاب بكيفية دون أخرى.

ولما كان القرآن الكريم يحمل مضامين معرفية وأخلاقية وإنسانية وتربوية، فلابد من الوقوف على مقاصد هذه المضامين والحمولات الدلالية، وأبعادها الإقناعية في ضوء البناء الاستدلالي؛ لأن معرفة النصوص متوقفة على معرفة القصد توقفاً رئيساً (مقبول، 2014: 1221)، فهو خطاب تهييج وإغضاب وتشجيع وتحريض وتنفير وتحبيب وتعجيز وتحسير وتكذيب وتشريف (الزَّركشي، 2007: 376)، فهو خطاب متنوع بتلون المخاطَب، يصوغ المخاطِب كلامه على وفق استراتيجية خاصة تتلاءم مع المخاطَب؛ لذا كثرت مخاطباته، والمخاطَب فيه نوعان:

الأول: يذكر داخل النص القرآني، وهذا ينقسم على قسمين: قسم معين باسمه أو لقبه، أو بضمير الخطاب، وقسم غير معين ولا محدد.

الثاني: واقع خارج النص القرآني، وهو جمهور السامعين والمتلقين على اختلاف عصورهم وأمكنتهم، ويسمى «الجمهور الكوني» (صولة، 2007: 42).

وعليه تصبح المقاصد معياراً أساسياً في استكشاف أهداف النصوص وغاياتها ((إذ يلعب القصد دوراً محورياً في تأويل ملفوظات النصوص)) (طلحة، 2014: 53).

ولما كان الخطاب القرآني خطاباً تفاعلياً استلزم منا معرفة الأطراف المتخاطبة للوقوف على مقاصدها، فضلاً عن معرفة أهدافها وغاياتها، وكيف تشكل الخطاب في بعده الإقناعي؟

1 - المخاطِب:

يُعدُّ المخاطِب نقطة الشروع في إنتاج الخطاب؛ لذا عُد الذات المحورية التي تتوقف عليها بيان المقاصد؛ لتحقيق غايات معينة، وهذا لا يعني بأن متلقي الخطاب ليس له أثر في إنتاج الخطاب، لا بل له أثر كبير يتمثل في مقامه (يامنة، 2012: 94)؛ لذا يسعى المخاطب لإنتاج خطاب ينسجم مع مقضى حال السامع حتى يضمن التأثير والتفاعل يتحقق الإقناع.

فالمسار التحاوري في المدونة القرآنية يعتمد على الغايات والمقاصد القائمة على علاقات بنائية تعكس الوظيفة (الإرشادية) التي يتوخاها المخاطِب في خطابه.

قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ (الكهف: 37).

المخاطِب – المسلم – كان يحاور الكافر ويدعوه إلى التصديق بالله والإيمان

بالبعث، فيأخذ منحى استدلالياً بالإشـــارة اللطيفة إلى «خلق الإنسان» في الابتداء، وهذا يســـتلزم القدرة على الإعادة، فضلاً عن ذلك يستظهر أن خلق الإنسان لم يكن عبثاً ولعباً، وإنما من أجل العبادة التي تحقق الكمال؛ لهذا منح المطيع الثواب والأجر، والمذنب العذاب والعقاب (الطاهر: 15/ 322).

وهذا النوع من آليات تحليل الخطاب يطلق عليه (التناظر الرأسي) (عبد الرحمن، 2007: 53 – 54)، بمعنى التقابل بين الذوات المتحاورة القائم على أســـاس دعامتين (التبليـــغ) و (التأثير والتفاعل) (عبد الرحمن، 2007: 55)، فالاســـتدلال اللســـاني القرآني (وظيفة) و (ممارســـة) تعتمد على الصياغات البنائية للنصوص القرآنية عن طريق: ((استثمار قالبي «المنطق» و «اللغة» بالدرجة الأولى، وهما القالبان الأساسيان في كل عملية لغوية، وفي ذلك ما ينزع إلى تغيير المعتقدات، بل وتوجيه الذهن صوب وجهةً محددةً)) (الشهري، 2004: 302).

2 - المخاطَب:

يشـــكل المخاطَب الذات المقابلة للمخاطِب الذي لأجله تُفعل إنتاج النصوص، وإليه توجه، وتعدد المخاطَبين في المدونة القرآنية يستدعي استحضار المخاطِب سواء كان حضوراً عينياً، أم استحضاراً ذهنياً، وهذا الاستحضار هو الذي يُسهم في حركية الخطاب، بل يُســـهم في بيان قدرة المخاطِب التنويعية، ويمنحه اختيار اســـتراتيجيته الخطابية التي تنســـجم مع المخاطَب (الشـــهري، 2004: 48)، وينقسم المخاطَب في المدونة على قسمين:

أولاً: المخاطَب الكوني (غير المباشر): وهو «المخاطَب الذي يتلقى الخطاب خارج زمن إنتاج الخطاب» (المتوكل، 2011: 84)، وهو ما يحصل حين قراءة الخطاب قَرُبَ أو بَعُدَ زمانياً أو مكانياً.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ (الصف: 10)، الخطاب خطاب كوني لم يحد زمانياً ومكانياً بدلالة النداء في فضاء الإنسانية الممتد بأفق الإيمان، بدلالة الضمير المستتر في (أدلكم) عائد إلى الله جلَّ جلاله؛ لأن ظاهر الخطاب جاء من الله تبارك وتعالى إلى المؤمنين، ويجوز أن يكون الضمير عائداً إلى النبي الخاتم (ص)، فضلاً عن الحمولات الدلالية المكثفة الكاشفة عن الأشياء التي لا يهتدي إليها بسهولة. (الطاهر: 28، 192)، وهذا يقتضي أن المتكلم هو (عارف، وخبير) وهو (ناصح ومحب)، وهذا يستدعي قبول الدعوى وعدم معارضتها؛ لأنه صادق، وبهذا يمكن بناء الاستدلال في ضوء القضية الايجابية:

بما أني العارف والخبير – أدلكم – إذن عليكم إتباعي حتى أنجيكم من العذاب الأليم

أمَّا بناء الاستدلال في ضوء القضية السلبية فنقول:

بما أنكم لم تتبعوني إذن سوف تهلكون في العذاب الأليم

وإذا ما فعلتم ذلك، ولم تفعلوا ما يقتضيه الخطاب خرج سلوككم عن السلوك القرآني، لا بل ذهبت صفتكم الإيمانية التي استعملها القرآن التي تشير إلى الالتزام بما جاء به الخطاب، وهذا الاقتضاء الحواري، هو الذي وفر(المناسبة والصلة).

الثاني: المخاطَب الحاضر (المباشر): هو المخاطَب الذي يكون حاضراً وقت إنتاج النص (المتوكل، 2011: 83). قال تعالى:﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ﴾ (الصافات: 36)، تقابل الذوات الغرض منها مواجهة الدعوة التي جاء بها النبي محمد (ص) دعوة الإسلام التي جاء يبلغها، وسبيل المواجهة (الطعن بالنبي)، وهذا المسلك فاسد في رد الدعوة، فقالوا عنه (شاعراً)، وهذا يستبطن أنه غير صادق في القول، وهذا ينسحب إلى دعوته، قال تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ﴾ (الشعراء: 224 – 226)،

فالنتيجة كيف لنا إتباع (كاذب) معاذ الله أو (مجنون) فقد عقله، وهذه سنن الأقوام الكافرة في الرفض والمعارضة قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾(القمر: 9)، ويمكن بناء الفعل الكلامي الاستدلالي:

بما أنه شاعرٌ أو مجنون إذن كيف نتبع دعوته

وقد ذكر الغزالي هذا النوع من المعارضة، ورد الدعوة فقال: ((والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات أقرانه وتتبع عورات خصومه، حتى أنه؛ ليخبر بورد مناظر إلى بلدةٍ فيطلب من يخبر بواطن أحواله، ويستخر السؤال مقابحه حتى يعدّها ذخيرة لنفسه في إفضاحه إذا مسّت إليه حاجة)) (الغزالي: 2، 73).

فالخاصية البنائية للخطاب القرآني خاصية استدلالية تعتمد في جوهرها على العلاقة الترابطية، التي يقصد بها استدراج المتلقي، بذلك تأخذ نسقاً تصاعدياً، يؤسس فيه الباث استراتيجياته الإقناعية ذات الأبعاد الحجاجية عن طريق انتقاء وحداته البنائية بدقة متناهية؛ لأنها القوالب المنطقية ذات الحمولات الدلالية في كل استدلال؛ لذلك يختلف الاستدلال باختلاف ترتيب هذه القوالب....

في ضوء تلك المعطيات المتمثلة بالأنساق اللسانية – تمظهرات الخطاب –، والسياقات غير اللسانية – المضمرات والإيحاءات – التي يكشف عنها المقام التي تسوغ إنتاج الخطاب ودواعيه. ففكرة الترابط مركزية تسمح بتحديد طبيعة العلاقة، وهي طبيعة استدلالية بحكم: الوظائف المتعددة التي ينتجها الخطاب القرآني:

أولاً: الفعل الحركي التوجيهي:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤)، وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ (التوبة: 123 – 125).

يشكل فعل الحركة (أُنزلت ســورةٌ) فعلاً توجيهياً؛ لأن مقتضى الخطاب القرآني يســتدعي توجيه العباد إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، وحركة هذا الفعل من الله إلى عباده، وهذا ما استلزمه الخطاب التحاوري بأن يكون خط نزول الفعل من الله جلّ جلاله إلى عباده؛ لأن الفعل فعل توجيه، وفاعــل التوجيه الله جل جلاله (مهيهي، 2021: 76).

ولكــن الناظر في الوحدة البنائية للآية القرآنية يجد أن فعل الإنزال جاء في الجملة الشرطية، فالجانب البنائي في بنية التلازم الشرطي محكوم من جهتين:

- جهة الشرط: لأن السبب الذي يوجد المسبب – المشروط –.
- جهــة المشروط: وهو لا يوجد إلاّ عند وجود الشرط؛ لهذا قيل فيه: إنه ســبب جعلي (نحلة 2011: 44).

فالاقتضاءات التي تتولد عن هذه البنية هي اقتضاءات إثباتية، يتم لها الاستدلال عــن طريق البناء الكلي الذي تمثله مجموعة اقتضاءات الجملة التي تكونها، وعلى هذا الأساس يمكن بناء الاستدلال:

بما أن الله أنزل سورة إذن فمنهم من يقول أيكم زادته إيمانا

فالمقاصد المتولدة من فعل الشرط الذي هو حركة فعل الإنزال، هي زيادة الإيمان، وفي ذلــك حث على تلقي هذا الإنزال والعمــل والإيمان به، وهو في حد ذاته الحجة على المخالفين والمنافقين، والذي ظهر في التساؤل على لسانهم ((أيكم زادته إيماناً))، وهذا يقتضي السخرية، والدعوى إلى عدم تلقي هذا الإنزال والعمل به.

وفي قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنًا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ (التوبة: 124).

فالجانــب الإثباتي الذي يحققه الجانب البنائي في جملة الشرط (إن نزول الســورة

يزيد من إيمان المؤمنين)، وحال المؤمنين الاستبشار، وفي ذلك حث على الإيمان؛ لاستحصال حال الاستبشار، وفي ضوء ذلك يمكن بناء الجانب الاستدلالي:

بما أنهم آمنوا بما أنزله الله إذن سوف يزداد إيمانهم ويكونون مستبشرين

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ (التوبة: 125).

هنا الجانب الإثباتي الذي يحققه الجانب البنائي الشرطي (إن نزول السورة يزيد من رجس الذين في قلوبهم مرضٌ)، وهذا التقابل بين الصورتين في حال نزول السورة تولد حجة على متلقي الخطاب القرآني، فضلاً عن ذلك تكشف الآيات القرآنية أحوال الناس إزاء حركة فعل الإنزال للسور القرآنية، وعلى هذا الأساس يمكن بناء الاستدلال:

بما أن في قلوبهم مرضاً فنزول السورة يزيد في رجسهم، وهم كافرون

والآية القرآنية تشير إلى اقتضاء مفاده (قلوبهم مريضة)، وهذا يستدعي طهارة القلب، وهنا تؤكد النصوص القرآنية (طهارة القلب) في استقبال ما ينزله الله جلَّ جلاله.

وإذا ما أعدنا النظر في النصوص القرآنية المتقدمة نجدها أقيمت على أساس الافتراض المسبق (إما شاكراً إما كفوراً)، وهذا يثبت أحوال الناس، ويستدعي استكشاف النفس من أجل الوصول إلى (**الرضا الإلهي**) المتمثل بالعمل بالسور المنزلات التي تعكس المستويات السلوكية بين (القبول) و (الرفض).

ثانياً: الفعل الحركي الإرشادي:

قال تعالى: ﴿جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ

رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: 129)، يشكل فعل الحركة (جاءكم رسولٌ) فعلاً إرشادياً؛ لأن وظيفة النبي (ص) إرشـــاد الناس، وفعل الحركة هنا جاء بمعنى القرب الشديد، واستعمله القرآن (الســـامرائي 1998: 239)، بهذه الصيغة قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾(المؤمنون: 99)، والقرينة المقالية تعززت بالانسجام والألفة بدلالة (أنفسكم)، فضلاً عن ذلك ((بالمؤمنين رءوفٌ رحيم))، وهذا يستدعي قبول قوله؛ لأنكم تعرفونه، وهو بكم رءوف ورحيم، وحريص على هدايتكم مما أنتم فيه (الطـــبري، 1994: 14/ 585)، فدلالة الفعل وزمنه أســـهمت بتوليد هذه المعاني في سياقها البنائي، وبعدها الاستدلالي

قال السبكي في هذا الصدد: ((والفائدة في الفعل الماضي إذا أُخبر به عن المستقبل الذي لم يوجد، أنه أبلغ وأعظم موقعاً؛ لتنزيله منـزلة الواقع)) (السبكي، 2004: 3/ 212)، وقال أيضا: ((وفائدة التعبير بالماضي الإشارة إلى استحضار التحقق، وأنه من شـــأنه لتحققه، أن يُعبَّر عنه بالماضي، وإن لم يرد معناه)) (السبكي، 2004: 3/ 214)، في ضوء ما تقدم يمكن بناء الاستدلال:

بما أنه من أنفسكم، وهو رءوف رحيم بالمؤمنين، إذن أجيبوا دعوته

وهذا الاستدلال له مقدمات ساعدت في بنائه الاستدلال، أولاها هذه المقدمات وظيفـــة النبي (ص) التي تشـــكل حركة الفعل نحو الآخر مـــن أجل تحقيق هدف الرســـالة، وهو (الهداية والإرشـــاد)، وهذا الهدف اقتضى أن يكون المرســـل معرفاً للمرســـل إليه حتى يقع (التأثير)، والمقدمة الثانية التي اقتضاها الحوار هي التعريف بالمرسل إليه، وهم (المؤمنون)، وهذا يستدعي منهم قبول الدعوة.

فالجانب الســـلوكي العملي الذي اســـتدعته الآية القرآنية المباركة الكشـــف عن صفات وخصال المرســـل بالرســـالة، فضلاً عن مقتضيات الدعوة إلى التي تستلزم

القرب وليس البعد عن المدعوين، وفي ذلك دعوة جديدة بالتحلي بصفات النبي (ص) التي تشكل مظهر من مظاهر التجلي الإلهي، وهو (الحب) للآخرين بدعوتهم إلى الخير المتمثل بأصل الدعوة الإلهية.

الخاتمة

في مسعى لكشف تحليل الخطاب القرآني في ضوء المنطق الطبيعي الاستدلالي من أجل تفسير قنوات التواصل في الخطاب فضلاً عن الكشف عن السياق الذي أوجبت الخطاب، التي نتجت عنها: إننا نتكلّم عامة بقصد التأثير، ووظائف الخطاب القرآني، وأهدافه ذات المساعي التأثيرية، تريد تحقيق فعلٍ إنجازيٍّ عند متلقي الخطاب.

رقن البحث نتائج قراءة جديدة يمكن إجمالها في:

1 – بيَّنَ البحث أن الحجاج يفرض وجود متلقٍ يتوجه إليه الخطاب، يأخذ فيه المتلقي دوراً إيجابياً يريد الوقوف على مقاصد المتكلم عن طريق العناصر اللغوية، والقرائن التي ترافق هذه العناصر.

2 – تظهر الخاصية الحوارية، وهي خاصية جوهرية في تأكيد حجاجيّة النص، وبها ينكشف أن الخطاب الحجاجي لا يمارس العنف، والغالب في الخطاب القرآني أنه خطاب موجه إلى جمهور خاص يحاكي وقائع وقعت، ويقصد التأثير في الجمهور الكوني.

3 – بيَّن البحث فاعلية المنطق الاستدلالي في الخطاب القرآني، وأثره عند المتلقي، وتنوع الاشاريّات في الخطاب، لتنوع السياقات المقامية.

4 – أظهر البحث المنجز اللغوي في تحليل الخطاب المنطق الاستدلالي، التي ولّدت فعلاً لغوياً إنجازياً.

5 – كشــف البحث عن الأفعال المباشرة التي حققها الخطاب القرآن، والأفعال غير المباشرة التي يطلبها الخطاب.

6 – أوضــح البحث الأبعاد التداوليــة المتحققة في الخطاب القــرآني، من إيجاد التواصل والتفاعل، عن طريق تقليل المســافة بــين المتحاورين، فضلاً عن ذلك الكشف عن مضمر القول، وهذا يكشف عن الكفاية التداولية للمتكلم.

المراجع

القرآن الكريم مصدر العربية الأول.

أولاً: الكتب المطبوعة:

- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري. (د.ت). **لسان العرب**. دار صادر – بيروت. (د.ط).
- بروان، ج.ب.1994. **تحليل الخطاب**. جامعة الملك سعود. رياض – السعودية. ط1.
- بنكراد، سعيد. 2009. **الصورة الإشهارية**. المركز الثقافي العربي – دار البيضاء. ط1.
- خطابي، د. محمد. 1991.**لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب**. المركز الثقافي العربي. بيروت. ط1.
- دي بوجرانـد، روبرت. 1998.**النـص والخطاب والإجراء**. ترجمة: د. تمام حسـان. عالم الكتب. القاهرة. ط1.
- ريكـور، بول. 2004. **من النص إلى الفعل أبحاث في التأويل**. ترجمة: محمد برادة وحسـان بورقية، مكتبة الأمان – الرباط. ط1.
- الزَّركـشي، بدر الدِّين محمَّد بن عبد الله (ت794هـ).2007. **البرهان في علوم القرآن**. خرَّج حديثه وقدَّمه وعلَّق عليه: مصطفى عبدالقادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت – لبنان. ط1.
- السامرائي، د. فاضل صالح. 1998. **التعبير القرآني**. دار عمار. عمان – الأردن. ط5.
- السـبكي، علي بـن الكافي. 2004. **الابهـاج في شرح المنهاج على منهـاد الوصول إلى علم الأصول: للقاضي ناصر الدين البيضاوي**. تح: أحمد جمال الزمزمي. دبي. ط1.
- سلمان، علي محمد علي. 2010. **كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج (رسائله نموذجا)**. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت – لبنان. ط1.
- شارودر، منغنو، باترك، دومنيك. 2008. **معجم تحليل الخطاب**. ترجمة: عبد القادر المهيري. د. حمادي صمّود، مراجعة: صلاح الدين الشريف. المركز الوطني للترجمة، تونس. (د.ط)
- الشـهري، عبد الهادي بن ظافر. 2004. **استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية**. دار الكتب الجديد المتحدة. بيروت – لبنان. ط1.
- صليبا، جميل. 1994. **المعجم الفلسـفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية**.

الشركة العلمية للكتاب. دار الكتاب العالمي. بيروت. (د.ط).

- صولة، د. عبدالله. 2007. **الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية**. دار الفارابي – بيروت. كلية الآداب والفنون والإنسانيات منّوبة. ودار المعرفة للنشر – تونس. ط2.

- الطاهر، محمد بن عاشور (د.ت). **التحرير والتنوير**. دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس. (د.ط).

- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد. 1994. **تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل القرآن**. مؤسسة الرسالة. (د.ط).

- طلحة، د. محمد. 2014. **مبادئ تداولية في تحليل الخطاب الشرعي عند الأصوليين**. عالم الكتب الحديث – أربد – الأردن. ط1.

- عبد الرحمن، د. طه. 2007. **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام**. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب. ط3.

- عبد الرحمن، د. طه. 1998. **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. بيروت. ط1.

- العزاوي، أبو بكر. 2006. **اللغة والحجاج**. دار الأحمدية للطباعة. الدار البيضاء – المغرب. ط1.

- العمري، محمد. 1986. **في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأول نموذجاً**. دار الثقافة، الدار البيضاء. ط1.

علوي، د. حافظ إسماعيلي. 2010. **الحجاج مفهومه ومجالاته «دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة»**. عالم الكتب الحديث – الأردن. ط1.

- الغزالي، أبو أحمد. (د.ت). **إحياء علوم الدين**. دار إحياء التراث العربي. بيروت – لبنان. ط1.

- فاولر 1997، روجر. **تحليل الخطاب**. دار الثقافة والنشر والتوزيع. عمان – الأردن. ط1.

- فوكو، ميشيل. (د.ت). **نظام الخطاب**. ترجمة: محمد سبيلا. (د.ط).

- مانغينو، دومنيك. 2008. **المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب**. ترجمة: محمد يحياتن. منشورات الاختلاف. الجزائر. ط1.

- المتوكل، د. أحمد. 2011. **الخطاب الموسط مقاربة وظيفية لتحليل النصوص والترجمة وتعليم اللغات**. منشورات الاختلاف. الجزائر. ط1.

- مجموعة مؤلفين 1998. **آفاق التناصية، المفهوم والمنظور**. ترجمة وتقديم: محمد خير البقاعي. الهيئة المصرية العامة للكتاب. مصر. ط1.
- مهيهـــي، د. أنتصار يونـــس. 2021. **أفعال الحركة في القرآن الكريم «دراســـة في التركيب والدلالة»**. دار غيداء. الأردن. ط1.
- نحلة، محمود أحمد. 2011. **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**. مكتبة الآداب. القاهرة. ط1.
- يامنة، د. ســـامية. 2012. **الإتصال اللساني وآلياته التداولية في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري**. دار الكتب العلمية. بيروت – لبنان. ط1.
- يونس، د.محمد محمد. 2016. **تحليل الخطاب وتجاوز المعنى نحو نظرية المســـالك والغايات**. دار كنوز المعرفة. عمان – الأردن. ط1.

ثانياً: الرسائل والاطاريح الجامعية:

عزي، رشـــيد. 2009. **إشـــكالية المصطلح في المؤلفات العربية تحليل الخطاب إنموذجا دراسة تحليلية نقديةـــ** (رسالة ماجستير). معهد اللغات والأداب العربي، الجزائر.

ثالثاً: الدوريات:

- مقبـــول، إدريـــس. 2014. **في تداوليات القصـــد**. مجلة جامعة النجـــاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) المجلد 28 (5).